والتسخير حقيقته تذليل ذي عمل شاق أو شاغل بقهر وتخويف أو بتعليم وسياسة بدون عوض فمنه تسخير العبيد والأسرى ومنه تسخير الأفراس والرواحل ومنه تسخير البقر للحلب والغنم للجز . ويستعمل مجازا في تصريف الشيء غير ذي الإرادة في عمل عجيب أو عظيم من شانه أن يصعب استعماله فيه بحيلة أو إلهام تصريفا يصيره من خصائصه وشؤونه كتسخير الفلك للمخر في البحر بالريح أو بالجذف وتسخير السحاب للامطار وتسخير النهار للعمل والليل للسكون وتسخير الليل للسير في الصيف والشمس للدفء في الشتاء والظل للتبرد في الصيف وتسخير الشجر للأكل من ثماره حيث خلق مجردا عن موانع تمنع من اجتنائه مثل الشوك الشديد فالأسد غير مسخر بهذا المعنى ولكنه بحيث يسخر إذا شاء الإنسان الانتفاع بلحمه أو جلده بحيلة لصيده بزينة أو نحوها ولذلك قال ا تعالى (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه) باعتبار هذا المجاز على تفاوت في قوة العلاقة . فقوله (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أطلق التسخير فيه مجازا على جعلها خاضعة للنظام الذي خلقها ا عليه بدون تغيير مع أن شأن عظمها أن لا يستطيع غيره تعالى وضعها على نظام محدود منضبط .

ولفظ الأمر في قوله (بأمره) مستعمل مجازا في التصريف بحسب القدرة الجارية على وفق الإرادة ومنه أمر التكوين المعبر عنه في القرآن بقوله (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) لأن (كن) تقريب لنفاذ القدرة المسمى بالتعلق التسخيري عند تعلق الإرادة التنجيزي أيضا فالأمر هنا من ذلك وهو تصريف نظام الموجودات كلها .

وجملة (ألا له الخلق والأمر) مستأنفة استئناف التذييل للكلام السابق من قوله (الذي خلق السماوات والأرض) لإفادة تعميم الخلق . والتقدير : لما ذكر آنفا ولغيره . فالخلق : إيجاد الموجودات والأمر تسخيرها للعمل الذي خلقت لأجله .

وافتتحت الجملة بحرف التنبيه لتعي نفوس السامعين هذا الكلام الجامع .

واللام الجارة لضمير الجلالة لام الملك . وتقديم المسند هنا لتخصيصه بالمسند إليه .

والتعريف في الخلق والأمر تعريف الجنس فتفيد الجملة قصر جنس الخلق وجنس الأمر على الكون في ملك ا تعالى فليس لغيره شيء من هذا الجنس وهو قصر إضافي معناه : ليس لآلهتهم شيء من الخلق ولا من الأمر وأما قصر الجنس في الواقع على الكون في ملك ا تعالى فلذلك يرجع فيه إلى القرائن فالخلق مقصور حقيقة على الكون في ملكه تعالى وأما الأمر فهو مقصور على الكون في ملك ا قصرا ادعائيا لأن لكثير من الموجودات تدبير أمور كثيرة ولكن لما كان المدبر مخلوقا تعالى كان تدبيره راجعا إلى تدبير ا كما قيل في قصر جنس الحمد في

قوله (الحمد) .

وجملة (تبارك ا رب العالمين) تذييل معترضة بين جملة (إن ربكم ا) وجملة (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) إذ قد تهيأ المقام للتكير بفضل ا على الناس وبنافع تصرفاته عقب ما أجرى من إخبار عن عظيم قدرته وسعة علمه وإتقان صنعه .

وفعل (تبارك) في صورة اشتقاقه يؤذن بالإظهار الوصف على صاحبه المتصف به مثل : تثاقل أظهر في العمل وتعالل أي أظهر العلة وتعاظم : أظهر العظمة وقد يستعمل بمعنى ظهور الفعل على المتصف به ظهورا بينا حتى كأن صاحبه يظهره ومنه (تعالى ا) أي ظهر علوه أي شرفه على الموجودات كلها ومنه (تبارك) أي ظهرت بركته .

والبركة : شدة الخير وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) في سورة آل عمران وقوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) في سورة الأنعام . فبركة ا الموصوف بها هي مجده ونزاهته وقدسه وذلك جامع صفات الكمال ومن ذلك أن له الخلق والأمر .

وإتباع اسم الجلالة بالوصف وهو (رب العالمين) في معنى البيان لاستحقاقه البركة والمجد لأنه مفيض خيرات الإيجاد والإمداد ومدبر أحوال الموجودات بوصف كونه رب أنواع المخلوقات ومضى الكلام على (العالمين) في سورة الفاتحة .

(ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين [55]) E A